فصل

في ذكر فضائل مكة وخواصها

ومما يدل على تفضيلها أن اللَّه تعالى أخبر أنها أم القرى[١].

أم القرى: القرى كلها تبع لها وفرع عليها وهي أصل القرى؛ كما أن (الفاتحة) أنها أم القرآن.

مثابة للناس: أي يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار ولا يقضون منه وطراً بل كلما ازدادوا له زيارة؛ ازدادوا له اشتياقاً.

وليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها والطواف بالبيت الذي فيها غيرها.

وليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبله واستلامه وتحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود والركن اليماني[٢].

❑ **الفوائـد:**

١ الصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة والصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة فيما سواهما[٣].

---

(١) قال اللَّه تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢].

(٢) قال رسول اللَّه ﷺ: «مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطاً». أخرجه الترمذي وحسنه، وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي، وصححه الألباني في المناسك (ص٢١، ٤٢)، والمشكاة (ص ٢٥٨).

(٣) قال رسول اللَّه ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاةٍ فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة». رواه ابن حبان في صحيحه برقم (١٠٢٧)، وصححه الألباني في الإرواء برقم (١٩٧١).

obeikandl.com

٢ والمسجد الحرام أفضل بقاع الأرض على الإطلاق ولذلك كان شد الرحال إليه فرضاً؛ ولغيره مما يستحب ولا يجب.

٣ ومن خصائصها كونها قبلة لأهل الأرض كلهم فليس على وجه الأرض قبلة غيرها.

٤ ومن خواصها أيضاً أنه يحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة دون سائر بقاع الأرض[١].

وأصح المذاهب في هذه المسألة: أنه لا فرق في ذلك بين الفضاء والبنيان لبضعة عشر دليلاً قد ذكرت في غير هذا الموضع.

٥ ومن خواصها أيضاً أن المسجد الحرام أول مسجد وضع في الأرض؛ ثم المسجد الأقصى وبينهما أربعون عاماً.

٦ ومن خواصه أنه يعاقب فيه على الهم بالسيئات وإن لم يفعلها، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحَجّ: ٢٥].

ومن هذا تضاعف مقادير السيئات فيه؛ لا كمياتها؛ فإن السيئة جزاؤها سيئة لكن سيئة كبيرة وجزاؤها مثلها وصغيرة جزاؤها مثلها[٢].

❀ ❀ ❀

(١) من حديث أبي أيوب الأنصاري في الصحيحين بلفظ «إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها، ولكن شرّقوا أو غرّبوا».

وقال الإمام الشوكاني رحمه اللّه تعالى: وقد اختلف أهل العلم في ذلك على ثمانية أقوال استوفيناها في شرح المنتقى. وقد استدل من لم يمنع من ذلك بما أخرجه الجماعة من حديث ابن عمر قال: «رقيت يوماً في بيت حفصة فرأيت النبي ﷺ على حاجته مستقبل الشام مستدبر «الكعبة» وجعلوا هذا الحديث ناسخاً لأحاديث النهي. الدراري المضية (ص ١٨ ـ ٢٩).

وقال الشافعي رحمه اللّه: الاستقبال والاستدبار محرمان في الصحراء لا في البنيان.

(٢) قال الشيخ السعدي رحمه اللّه في تفسير هذه الآية: فمجرد الإرادة للظلم والإلحاد في الحرم،

فصل

ذكر فضل عشر ذي الحجة في أيام الحج

ومن هذا تفضيلُه بعض الأيام والشهور على بعض، فخير الأيام عند اللَّه يومُ النحر وهو يومُ الحج الأكبر، كما في «السنن» عنه ﷺ أنه قال: «أفضل الأيام عند اللَّه يوم النحر، ثم يوم القَرِّ»(١).

وقيل: يومُ عرفة أفضل منه، وهذا هو المعروف عند أصحاب الشافعي.

الحج الأكبر: أي معظم أعمال الحج ومناسكه فيه.

❑ **الفوائد:**

١ خير الأيام عند اللَّه تعالى يوم النحر وهو يوم الحج الأكبر.

وصيامه يكفر سنتين(٢)، وما من يوم يعتق اللَّه فيه الرقاب أكثر منه في يوم عرفة.

ولأنه سبحانه وتعالى يدنو فيه من عباده؛ ثم يباهي ملائكته بأهل الموقف(٣).

= موجب للعذاب، وإن كان غيره لا يعاقب العبد عليه إلا بعمل الظلم، فكيف بمن أتى فيه أعظم الظلم، من الكفر والشرك، والصد عن سبيله ومنع من يريده بزيارة، فما ظنكم أن يفعل اللَّه بهم؟!!! وفي هذه الآية الكريمة، وجوب احترام الحرم، وشدة تعظيمه، والتحذير من إرادة المعاصي فيه، وفعلها.

(١) أخرجه أبو داود في الحج برقم (١٧٦٥) باب (١٩). وعن جابر: «أفضل أيام الدنيا أيام العشر» صحيح الجامع رقم (١١٣٣). ويوم القر: هو الغد من يوم النحر، وهو حادي عشر من ذي الحجة، لأن الناس يقرون فيه بمنى.

(٢) يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصيام برقم (١١٦٢)، من حديث أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه: «صيام يوم عرفة، أحتسب على اللَّه أن يكفِّر السنة التي قبلُه والسنة التي بعده...».

(٣) أخرج مسلم في كتاب الحج برقم (١٧٤٨)، عن عائشة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «ما من يوم أكثر أن يعتق اللَّه فيه عبداً من النار من يوم عرفة. وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: «ما أراد هؤلاء».

obeikandl.com

٢ وعشر ذي الحجة أفضل الأيام عند اللَّه ﷻ.

عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى اللَّه من هذه الأيام العشر» قالوا: ولا الجهاد في سبيل اللَّه؟

قال: «ولا الجهاد في سبيل اللَّه، إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك شيء»(١).

٣ وهي الأيام العشر التي أقسم اللَّه بها في كتابه بقوله: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفَجر: ١، ٢]

ولهذا يستحب فيها الإكثار من التكبير والتهليل والتحميد، كما قال النبي ﷺ: «فأكثروا فيهن من التكبير والتهليل والتحميد»(٢).

التفاضل بين عشر ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان وبين ليلة القدر وليلة الإسراء

❑ **الفوائـد:**

١ تفضيل شهر رمضان على سائر الشهور؛ وتفضيل عشره الأخير على سائر الليالي؛ وتفضيل ليلة القدر على ألف شهر.

٢ ليالي العشر الأخير من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة؛ وأيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام عشر رمضان.

---

(١) أخرجه البخاري في العيدين برقم (٩٦٩) باب فضل العمل في أيام التشريق. قال ابن بطال: هذا اللفظ يحتمل أمرين: أن لا يرجع بشيء من ماله وإن رجع هو، وأن لا يرجع هو ولا ماله بأن يرزقه اللَّه الشهادة، فتح الباري (٢/ ٤٦٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (١١١١٦) من حديث ابن عباس ﷺ. وأورده الهيثمي في المجمع (٤/ ٥٩٣٢).

obeikandl.com

٣ ليلة القدر في حق الأمة أفضل لهم؛ وليلة الإسراء في حق رسول اللَّه ﷺ أفضل له.

٤ ويوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع؛ ويوم عرفة ويوم النحر أفضل أيام العام؛ وكذلك ليلة القدر وليلة الجمعة؛ ولهذا كان لوقفة يوم عرفة مزية على سائر الأيام من وجوه متعددة.

فصل

فيما اختاره الله تعالى من الأعمال وغيرها

والمقصود أن اللَّه سبحانه وتعالى اختار من كل جنس من أجناس المخلوقات أطيبه، واختصه لنفسه وارتضاه دون غيره، فإنه تعالى طيب لا يحب إلا الطيب، ولا يقبل من العمل والكلام والصدقة إلا الطيب فالطيب من كل شيء هو مختاره تعالى.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [الزُمَر: ٧٣]، هذه الفاء تقتضي السببية: أي بسبب طيبكم ادخلوها.

﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [النُور: ٢٦]، فسرت بأن الكلمات الخبيثات للخبيثين والكلمات الطيبات للطيبين.

وفسرت بأن النساء الطيبات للرجال الطيبين والنساء الخبيثات للرجال الخبيثين وهي تعم ذلك وغيره.

فاللَّه سبحانه وتعالى جعل الطيب بحذافيره في الجنة، وجعل الخبيث بحذافيره في النار فجعل الدور ثلاثة: داراً أخلصت للطيبين، وهي حرامٌ على غير الطيبين، وقد جمعت كل طيب وهي الجنة.

وداراً أخلصت للخبيث والخبائث، ولا يدخلها إلا الخبيثون، وهي النار.

وداراً امتزج فيها الطيب والخبيث، وخلط بينهما، وهي هذه الدار، ولهذا وقع

obeikandl.com

الابتلاء والمحنة بسبب هذا الامتزاج والاختلاط، وذلك بموجب الحكمة الإلهية.

❑ **الفوائـد:**

لما كان المشرك خبيث العنصر خبيث الذات لم تطهر النار خبثه بل لو خرج منها لعاد خبيثا كما كان، كالكلب إذا دخل البحر ثم خرج منه، فلذلك حرم اللَّه تعالى على المشرك الجنة• ولما كان المؤمن الطيب المطيب مبرءاً من الخبائث،كانت النار حراماً عليه،إذ ليس فيه ما يقتضي تطهيره بها.

فصل

في شرح معاني أسمائه ﷺ

وكلها نعوت ليست أعلاماً محضة لمجرد التعريف، بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال[1].

١ محمد: اسم مفعول من حمد فهو محمد إذا كان كثير الخصال التي يحمد عليها.

٢ أحمد: هو الذي يحمد أفضل مما يحمد غيره فحمد في الكثرة والكمية وأحمد في الصفة والكيفية.

٣ الماحي: هو الذي محا اللَّه به الكفر ولم يُمحَ الكفر بأحد من الخلق ما محي بالنبي ﷺ.

٤ الحاشر: فالحشر هو الضم والجمع فهو الذي يحشر الناس على قدمه، فكأنه

(١) ثبت عنه ﷺ أن له خمسة أسماء، فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إن لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو اللَّه بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب» أخرجه البخاري في تفسير سورة الصف برقم (٤٨٩٦)، وأخرجه مسلم في الفضائل برقم (٢٣٥٤).

بعثه ليحشر الناس.

٥ العاقب: الذي جاء عقب الأنبياء فليس بعده نبي، فإن العاقب هو الآخر فهو بمنزلة الخاتم ولهذا سمي العاقب على الإطلاق أي: عقب الأنبياء جاء بعقبهم.

٦ المقفّى: الذي قفى من قبله من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم.

٧ نبي التوبة: فهو الذي فتح به باب التوبة على أهل الأرض.

٨ نبي الملحمة: فهو الذي بعث بجهاد أعداء اللَّه فلم يجاهد نبي وأمته قطُّ ما جاهد رسول اللَّه ﷺ وأمته.

٩ نبي الرحمة: فهو الذي أرسله اللَّه رحمةً للعالمين فرحم به أهل الأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم.

أما المؤمنون، فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة، وأما الكفار، فأهل الكتاب منهم عاشوا في ظله، وتحت حبله وعهده، وأما من قتله منهم هو وأمته، فإنهم عجلوا به إلى النار، وأراحوا من الحياة الطويلة التي لا يزاد بها إلا شدَّةَ العذاب في الآخرة.

١٠ الفاتح: هو الذي فتح اللَّه به باب الهدى بعد أن كان مرتجاً.

وفتح به الأعين العمي، والآذان الصُّم، والقلوب الغلف، وفتح اللَّه به أمصار الكفار، وفتح به أبواب الجنة، وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح، ففتح به الدنيا والآخرة، القلوب والأسماع والأبصار والأمصار.

١١ الأمين: هو أحق العالمين بهذا الاسم فهو أمين اللَّه على وحيه ودينه.

وهو أمين مَنْ في السماء، وأمين مَنْ في الأرض، ولهذا كانوا يُسمونه قبل النبوة: الأمين.

١٢ الضحوك القتال: مزدوجان لا يُفرد أحدهما عن الآخر فإنه ضحوك في وجوه

المؤمنين غير عابس ولا مقطِّب، ولا غضوب، ولا فظٍّ، وقتَّال لأعداء اللَّه لا تأخذه فيهم لومة لائم.

١٣ البشير: هو المبشر لمن أطاعه بالثواب؛ والنذير لمن عصاه بالعقاب.

١٤ المنير: هو الذي ينير من غير إحراق بخلاف الوهاج، فإنه فيه نوعَ إحراق وتَوهُّج.

فصل

في أزواجـــه ﷺ

❑ **الفوائـد:**

١ أن النبي ﷺ لا يفتقر نكاحه إلى ولي؛ وقال ابن عقيل: ظاهر كلام أحمد أن النبي ﷺ لا يشترط في نكاحه الوليُّ؛ وأن ذلك من خصائصه.

٢ أن اللَّه سبحانه وتعالى فوق سبع سماواته وأنه سبحانه كان ولي زينب بنت جحش في تزويجها لرسول اللَّه ﷺ من فوق سمواته(١).

٣ وتزويج رسول اللَّه ﷺ من زينب بعد أن طلقها زيد وقد تبناه ﷺ: زوَّجه اللَّه تعالى إياها لتتأسى به أمته في نكاح أزواج من تبنوه (٢).

---

(١) روى البخاري في كتاب التوحيد (٧٤٢٠) من حديث أنس رضي الله عنه، عن زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت تفتخر على نساء النبي ﷺ وتقول: (زوجكُنَّ أهاليكُنَّ، وزوجني اللَّه من فوق سبع سماوات).
ويستفاد من الحديث أن اللَّه تعالى في السماء، أي فوق السموات السبع، كما تكاثرت الأدلة في ذلك من الكتاب والسنة الصحيحة.

(٢) قال اللَّه تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وفي هذه الآيات المشتملات على هذه القصة فوائد، منها: الثناء على زيد بن حارثة، وذلك من =

فصل

في هديه في النكاح ومعاشرته ﷺ أهلـــه

وكان يقسم لثمان منهن دون التاسعة، ووقع في «صحيح مسلم» من قول عطاء أن التي لم يكن يقسم لها هي صفية بنت حُيَيّ، وهو غلط من عطاء رحمه اللَّه، وإنما هي سودة، فإنها لما كَبرَتْ وهبت نوبتها لعائشة[١].

إذا وهبت إحداهن يومها للأخرى، فهل للزوج أن يُواليَ بين ليلة الموهوبة وليلتها الأصلية وإن لم تكن ليلة الواهبة تليها، أو يجب عليه أن يجعل ليلتها هي الليلة التي كانت تستحقها الواهبة بعينها؟ على قولين في مذهب أحمد وغيره.

= وجهين، أحدهما: أن اللَّه سماه في القرآن، ولم يسم من الصحابة باسمه غيره. والثاني: أن اللَّه أخبر أنه أنعم عليه، أي: بنعمة الإسلام والإيمان. وهذه شهادة من اللَّه له، أنه مسلم مؤمن، ظاهراً وباطناً، وإلا فلا وجه لتخصيصه بالنعمة، إلا أن المراد بها، النعمة الخاصة. ومنها: جواز تزوج زوجة الدّعيّ، كما صرح به.

ومنها: أن التعليم الفعلي، أبلغ من القولي، خصوصاً، إذا اقترن بالقول، فإن ذلك نور على نور.

«نقل ابن كثير في تفسيره، عن الحسن رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ قال: لا ولكن اللَّه تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها» (٣/ ٤٩١). ومنها: أن الرسول ﷺ قد بلغ البلاغ المبين، فلم يَدَع شيئاً مما أوحى إليه، إلا وبلغه، حتى هذا الأمر، الذي فيه عتابه.

ومنها: أن الرأي الحسن لمن استثار في فراق زوجة أن يؤمر بإمساكها مهما أمكن صلاح الحال، فهو أحسن من الفرقة.

ومنها: أنه يتعين أن يقدم العبد خشية اللَّه على خشية الناس، وأنها أحق منها وأولى.

ومنها: فضيلة أم المؤمنين زينب رضي الله عنها، حيث تولى اللَّه تزويجها، من رسوله ﷺ وتقول زوجكن أهاليكن وزوجني اللَّه من فوق سبع سماوات.

ومنها: أن المرأة إذا كانت ذات زوج لا يجوز نكاحها، ولا السعي فيه وفي أسبابه، حتى يقضي زوجها وطره منها. تفسير السعدي (٤/ ١٤٤، ١٤٥).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الرضاع برقم (١٤٦٥).

وكان يطوف على نسائه بغسل واحد[١]، وربما اغتسل عند كل واحدة، فعل هذا وهذا.

وكان إذا سافر وقدمَ، لم يطرق أهله ليلاً، وكان ينهى عن ذلك[٢].

فصل

في هديه وسيرته ﷺ في نومه وانتباهه

كان ينامُ على الفراش تارة، وعلى النَّطع تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة بين رِمالِهِ، وتارة على كساء أسود، قال عبَّاد ابن تميم عن عمه: رأيتُ رسول اللَّه ﷺ مُستلقياً في المسجد واضعاً إحدى رجليه على الأخرى[٣].

وكان إذا أوى إلى فراشه للنوم قال: «باسْمِكَ اللَّهم أحيا وأموتُ»[٤].

وكان يجمع كفيه ثم ينفث فيهما، وكان يقرأ فيهما: «قل هو اللَّه أحد» و«قل أعوذ برب الفلق» و«قل أعوذ برب الناس» ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه، ووجهه، وما أقبلَ من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[٥].

وكان إذا استيقظ من منامه في الليل قال: «لا إله إلا أنت سبحانك اللَّهم إني

---

(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أن نبي اللَّه ﷺ كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذ تسع نسوة». أخرجه البخاري برقم (٢٨٠) باب من طاف على نسائه في غسل واحد.

(٢) عن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنه قال: «نهى النبي ﷺ أن يطرق أهله ليلاً» أخرجه البخاري برقم (١٧٠٧)، ومسلم برقم (١٩٢٨). باب كراهة الطروق وهو الدخول ليلاً لمن ورد من سفر.

(٣) أخرجه البخاري في الصلاة برقم (٤٧٥)، ومسلم في اللباس برقم (٢١٠٠). والنطع: بساط من جلد.

(٤) أخرجه البخاري في الدعوات برقم (٦٣١٤).

(٥) أخرجه البخاري في فضائل القرآن برقم (٥٠١٧).

أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللَّهم زدني علماً، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهَبْ لي من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب»[١].

وكان نومه أعدل النوم، وهو أنفع ما يكون من النوم، والأطباء يقولون هو ثلث الليل والنهار، ثمان ساعات.

❧ ❧ ❧

فصـل

فـي العتــق

عن النبي ﷺ أنه قال: «أيما امرءٍ أعتق امرءاً مسلماً استنقذ اللَّه بكل عضوٍ منه عضواً منه من النار»[٢].

هذا يدل على أن عتق العبد أفضل، وأن عتق العبد يعدل أمتين، فكان أكثر عتقاءه ﷺ من العبيد، وهذا أحد المواضع الخمسة التي تكون فيها الأنثى على النصف من الذكر.

والثاني: العقيقة فإنه عن الأنثى شاة وعن الذكر شاتان عند الجمهور. وفيه عدة أحاديث صحاح وحسان.

والثالث: الشهادة، فإن شهادة امرأتين شهادة رجل.

والرابع: الميراث.

والخامس: الدية.

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب برقم (٥٠٦١). وصححه ابن حبان (٢٣٥٩) والحاكم (١/ ٥٤٠). وضعفه الألباني في سنن أبي داود برقم (٥٠٦١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العتق برقم (٢٥١٧)، ومسلم في كتاب العتق برقم (١٥٠٩).

obeikandi.com

أنــواع المشيــات

الأول: التكفأ.

الثاني: التقلع: والتقلع الارتفاع من الأرض بجملته، كحال المنحط من الصبب وهي مشية أولي العزم والهمة والشجاعة وهي أعدل المشيات وأروحها للأعضاء.

الثالث: السعي.

الرمل: وهو أسرع المشي مع تقارب الخطا ويسمى الخَبَب.

النسلان: وهو العدو الخفيف الذي لا يزعج الماشي.

الخَوْزَلي: وهي مشية التمايل وهي مشي يقال: إن فيها تكسراً وتخنثاً.

القهقري: وهي المشية إلى وراء.

الجمزي: وهي مشية يثب فيها الماشي وثباً.

التبختر: وهي مشية أولي العجب والتكبر، وهي التي خسف اللَّه سبحانه بصاحبها لما نظر في عطفيه وأعجبته نفسه، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة. وأعدل هذه المشيات مشية الهون والتكفؤ.

❀ ❀ ❀

فصل

في هديه ﷺ في جلوسه واتكائه

كان يجلس على الأرض، وعلى الحصير، والبساط، وقالت قَيْلَة بنت مخرمة: أتيت رسول اللَّه ﷺ وهو قاعد القرفصاء، قالت: فلما رأيت رسول اللَّه ﷺ كالمتخشع في الجلسة، أرعدت من الفرق، ولما قدم عليه عديُّ بن حاتم، دعاه إلى منزله، فألقت إليه الجارية وسادة يجلس عليها، فجعلها بينه وبين عدي، وجلس على الأرض، قال عدي: فعرفت أنه ليس بمَلِك.

وكان يستلقي أحياناً، وربما وضع إحدى رجليه على الأخرى، وكان يتكئ على

الوسادة، وربما اتكأ على يساره، وربما اتكأ على يمينه، وكان إذا احتاج في خروجه، وتوكأ على بعض أصحابه من الضعف.

فصل

في هديه ﷺ عند قضاء الحاجة

كان إذا دخل الخلاء قال: «اللَّهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»[١].

وكان إذا خرج يقول: «غفرانك»[٢].

وكان يستنجي[٣] بالماء تارة، ويستجمر[٤] بالأحجار تارة، ويجمع بينهما تارة.

وكان إذا ذهب في سفره للحاجة، انطلق حتى يتوارى عن أصحابه، وربما كان يبعد نحو الميلين.

وكان يستتر للحاجة بالهدف تارة، وبحائش النخل تارة، وبشجر الوادي تارة.

وكان إذا أراد أن يبول في عزازٍ من الأرض ـ وهو الموضع الصلب ـ أخذ عوداً من الأرض، فنكت به حتى يُثرى، ثم يبول.

وكان يرتاد لبوله الموضع الدَّمث ـ وهو اللين الرخو من الأرض ـ وأكثر ما كان يبول وهو قاعد.

وكان يخرج من الخلاء، فيقرأ القرآن، وكان يستنجي، ويستجمر بشماله، ولم يكن يصنع شيئاً مما يصنعه المبتلون بالوسواس من نثر الذكر، والخنجه، والقفز،

---

(١) أخرجه البخاري في الوضوء (١/ ١٢١)، ومسلم في الحيض برقم (٣٧٥).

(٢) أخرجه الترمذي في الطهارة برقم (٧)، وأبو داود في الطهارة برقم (٣٠)، وابن ماجه في الطهارة برقم (٣٠٠).

(٣) الاستنجاء: هو غسل البدن من الأذى بالماء، ومسحه بالحجر. النهاية.

(٤) الاستجمار: استعمال الجمار والمسح بالجمار، وهي الأحجار الصغيرة.

ومسك الحبل، وطلوع الدرج، وحشو القطن في الإحليل وصب الماء فيه، وتفقده البينة بعد الفينة، ونحو ذلك من بدع أهل الوسواس.

فصل

في هديه ﷺ في الفطرة وتوابعها

قد سبق الخلاف هل ولد ﷺ مختوناً، أو ختنته الملائكة يوم شقَّ صدره لأول مرة، أو ختنه جدّه عبد المطلب.

وكان يعجبه التيمن في تنعُّله وترجُّله وطهوره وأخذه وعطائه[1].

وكانت يمينه لطعامه وشرابه وطهوره، ويساره لخلائه ونحوه من إزالة الأذى، وكان هديه في حلق الرأس تركه كلّه، أو أخذه كله، ولم يكن يحلق بعضه، ويدع بعضه، ولم يحفظ عنه حلقه إلا في نسك.

وكان يحب السواك، وكان يستاك مفطراً وصائماً، ويستاك عند الانتباه من النوم، وعند الوضوء، وعند الصلاة، وعند دخول المنزل، وكان يستاك بِعُود الأراك.

وكان يكثر التطيب، ويحب الطّيب، وذُكر عنه أنه كان يلي بالنَّورة.

وكان يحب الترجُّل، وكان يرجِّل نفسه تارة، وترجله عائشة تارة[2].

---

(١) رواه الترمذي في الطب برقم (٢٠٤٩)، وابن ماجه في الطب برقم (٣٤٩٩).

(٢) وكان له مكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثاً عند النوم في كل عين.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول اللَّه ﷺ يُعجِبُهُ التيمُّنُ في تنعُّله وترجله وطهوره وفي شأنه كله».

رواه البخاري ومسلم في كتاب الطهارة.

فصل

في هديه ﷺ في قص الشارب

في «الصحيحين» عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «خالفوا المشركين، ووفِّروا اللّحى، وأحفوا الشوارب»(١).

وفي «صحيح مسلم» عن أنس قال: وقَّت لنا النبي ﷺ في قصّ الشارب وتقليم الأظفار، ألا نترك أكثر من أربعين يوماً وليلة»(٢).

واختلف السلف في قصّ الشارب وحلقه أيهما أفضل؟ فقال مالك في «موطئه»: يؤخذ من الشارب حتى تبدو أطراف الشفة وهو الإطار، ولا يجز، فيمثّل بنفسه.

وذكر ابن عبد الحكم عن مالك قال: يُحفى الشارب، وتُعفى اللّحى، وليس إحفاء الشارب حلقه، وأرى أن يؤدَّب من حلق شاربه، وقال ابن قاسم عنه: إحفاء الشارب وحلقه عندي مثله.

قال مالك: وتفسير حديث النبي ﷺ في إحفاء الشارب، إنما هو الإطار، وكان يؤخذ من أعلاه، وقال: أشهد في حلق الشارب أنه بدعة، وأرى أن يُوجع ضرباً من فعله، وقال مالك أيضاً: وكان عمر بن الخطاب إذا كربه أمر، نفخ فجعل رجله بردائه وهو يفتل شاربه.

❧ ❧ ❧

فصل

في سباقه وعيشه واحتجامه ﷺ

وسابق رسول اللَّه ﷺ بنفسه على الأقدام، وصارعَ وخطف نعله بيده، ورقَعَ ثوبه بيده، ورقع دلوه، وحلب شاته، وفَلى ثوبه، وخدم أهله ونفسه، وحمل معهم

(١) أخرجه البخاري في اللباس برقم (١٠/ ٢٩٥)، ومسلم في الطهارة برقم (٢٥٤)، (٢٥٩).
(٢) أخرجه مسلم في الطهارة برقم (٢٥٨).

اللَّبن في بناء المسجد، وربط على بطنه الحجر من الجوع تارة، وشبع تارة، وأضاف وأُضيف، واحتجم في وسط رأسه، وعلى ظهر قدمه، واحتجم في الأخدعين والكاهل وهو ما بين الكتفين، وتداوى، وكوى ولم يَكتو، ورقى ولم يَسترق، وحمى المريض مما يؤذيه.

❑ **الفوائـد:**

وأصول الطب ثلاثة: الحمية وحفظ الصحة واستفراغ المادة المضرة، وقد جمعها اللَّه تعالى له ولأمته في ثلاثة مواضع من كتابه، فحمى المريض من استعمال الماء خشية الضرر فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣].

فأباح له التيمم للمريض حمية له، كما أباحه للعادم، وقال في حفظ الصحة ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٤]، فأباح للمسافر الفطر في رمضان حفظاً لصحته لئلا يجتمع على قوته الصوم ومشقة السفر فيضعف القوة والصحة، وأباح للمحرم حلق رأسه ويستفرغ المواد الفاسدة والأبخرة الرديئة التي تولد عليه القمل كما حصل لكعب بن عجرة، وهذه الثلاثة هي قواعد الطب وأصوله. فذكر من كل جنس منها شيئاً وصورة، تنبيهاً بها على نعمته على عباده في أمثالها من حميتهم، وحِفظ صحتهم، واستفراغ مواد أذاهم، رحمةً لعباده، ولطفاً بهم، ورأفة بهم، وهو الرؤوف الرحيم.

❧ ❧ ❧

أنــواع الضحـــك

للضحك أسباب عديدة:

١ ضحك مما يضحك منه، وهو مما يتعجب من مثله ويُستغرب وقوعه ويندر.

٢ ضحك الفرح، وهو أن يرى ما يسره أو يباشره.

٣ ضحك الغضب وهو كثير ما يعتري الغضبان إذا اشتد غضبه، وسببه تعجب

الغضبان مما أورده عليه الغضب، وشعور نفسه بالقدرة على خصمه، وأنه في قبضته، وقد يكون ضحكه لملكه نفسه عند الغضب، وإعراضه عمن أغضبه، وعدم اكتراثه به.

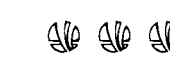

أنــواع البكـــاء

أنواع البكاء:

١ بكاء الرحمة والرقة.

٢ بكاء الخوف والخشية.

٣ بكاء المحبة والشوق.

٤ بكاء الفرح والسرور.

٥ بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتماله.

٦ بكاء الحزن، والفرق بينه وبين بكاء الخوف، أن بكاء الحزن يكون على ما مضى من حصول مكروه أو فوات محبوب، وبكاء الخوف يكون لما يتوقع في المستقبل من ذلك.

والفرق بين بكاء السرور والفرح وبكاء الحزن، أن دمعة السرور باردة والقلب فرحان ودمعة الحزن حارة والقلب حزين.

ولهذا يقال لما يفرح به: هو قُرَّةُ عين، وأقرَّ اللَّه به عينَه، ولما يُحزن: هو سخينةُ العين، وأسخن اللَّه عينَه بهِ.

٧ بكاء الخوف والضعف.

٨ بكاء النفاق، وهو أن تدمع العين، والقلب قاسٍ، فيظهر صاحبهُ الخشوع وهو من أقسى الناس قلباً.

obeikandl.com

٩ البكاء المستعار والمستأجر عليه، كبكاء النائحة بالأجرة فإنها كما قال عمر ابن الخطاب: تَبِيعُ عَبْرَتَها، وتَبْكي شَجْوَ غَيْرِها.

١٠ بكاء الموافقة وهو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر ورد عليهم فيبكي معهم.

وما كان من ذلك دمعاً بلا صوت، فهو بُكي، مقصور، وما كان معه صوت، فهو بكاء ممدود على بناء الأصوات.

❧ ❧ ❧

فصل

في هديه ﷺ في الصلاة

كان ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال: «اللَّه أكبر» ولم يقل شيئاً قبلها ولا تلفظ بالنية البتة، ولا قال: أصلي للَّه صلاة كذا مستقبل القبلة أربع ركعات إماماً أو مأموماً، ولا قال: إداءً ولا قضاءً، ولا فرض الوقت، وهذه عشر بدع لم ينقل عنه أحد قط بإسناد صحيح ولا ضعيف ولا مسند ولا مرسل لفظة واحدة منها البتة، بل ولا عن أحد من أصحابه، ولا استحسنه أحدٌ من التابعين، ولا الأئمة الأربعة.

الاستفتاح في الصلاة

ذكر المصنف رحمه اللَّه تعالى الأنواع التي كان يستفتح بها ﷺ الصلاة.

ثم قال: ولكن صح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يستفتح به في مقام النبي ﷺ ويجهر به، ويعلّمه الناس[1]، وقال الإمام أحمد، أما أنا فأذهب إلى ما روي عن عمر، ولو أن رجلاً استفتح ببعض ما روي عن النبي ﷺ من الاستفتاح كان حسناً.

---

(١) أخرج الإمام مسلم في صحيحه برقم (٣٩٩)، من طريق عبدة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يجهر بهؤلاء الكلمات يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك». ورواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (1/ 111) من حديث الحكم عن عمرو بن ميمون.

وإنما اختار الإمام أحمد هذا لعشرة أوجه قد ذكرتها في مواضع أخرى.

منها: جهرُ عمر به يعلّمه الصحابة.

ومنها: اشتماله على أفضل الكلام بعد القرآن، فإن أفضل الكلام بعد القرآن: سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر، وقد تضمنها هذا الاستفتاح مع تكبيرة الإحرام.

ومنها: أنه استفتاح أخلص للثناء على اللَّه، وغيره متضمن للدعاء، والثناء أفضل من الدعاء، ولهذا كانت سورة الإخلاص تعدِلُ ثلث القرآن، لأنها أخلصت لوصف الرحمن تبارك وتعالى، والثناء عليه، ولهذا كان «سبحان اللَّه والحمد للَّه، ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر» أفضل الكلام بعد القرآن، فيلزم أن ما تضمنها من الاستفتاحات أفضل من غيره من الاستفتاحات.

ومنها: أن غيره من الاستفتاحات عامتها إنما هي في قيام الليل في النافلة، وهذا كان عمر يفعله، ويعلّمه الناس في الفرض.

ومنها: أن هذا الاستفتاح إنشاء للثناء على الرب تعالى، متضمن للإخبار عن صفات كماله، ونعوت جلاله، والاستفتاح، بـ «وجهت وجهي» إخبار عن عبودية العبد، وبينهما من الفرق ما بينهما.

ومنها: أن من اختار الاستفتاح بـ «وجهت وجهي» لا يكمله، وإنما يأخذ بقطعة من الحديث، ويذر باقيه، بخلاف الاستفتاح بـ «سبحانك اللَّهم وبحمدك» فإن من ذهب إليه يقول كلّه إلى آخره.

القـراءة في الصـــلاة

فإذا فرغ من الفاتحة، أخذ في سورة غيرها، وكان يطيلها تارة، ويخففها لعارض من سفر أو غيره، ويتوسط فيها غالباً.

وكان يقرأ في الفجر بنحو ستين آية إلى مائة آية.

وكان يصليها يوم الجمعة بـ «الٓمٓ تنزيل» وسورة «هل أتى على الإنسان» كاملتين،

ولم يفعل ما يفعله كثير من الناس اليوم من قراءة بعض هذه وبعض هذه في الركعتين، وقراءة السجدة وحدها في الركعتين، وهو خلاف السنة.

وأما الظهر فكان يطيل قراءتها أحيانا حتى قال أبو سعيد: كانت صلاة الظهر تقام، فيذهب الذاهب إلى البقيع، فيقضي حاجته، ثم يأتي أهله فيتوضأ، ويدرك النبي ﷺ في الركعة الأولى مما يطليها. رواه مسلم(١).

وأما المغرب فكان هديه فيها خلاف عمل الناس اليوم، فإنه صلاها مرة بـ «الأعراف» فرقها في الركعتين، ومرة بـ «الطور» ومرة بـ «المرسلات».

وأما العشاء الآخرة، فقرأ فيها ﷺ بـ «التين والزيتون» ووقت المعاذ فيها بـ «الشمس وضحاها» و«سبح اسم ربك الأعلى» و«الليل إذا يغشى»، ونحوها.

وأما الجمعة، فكان يقرأ فيها بسورتي «الجمعة» و«المنافقين» كاملتين أو«سورة سبح» و«الغاشية».

وأما قراءته في الأعياد، فتارة كان يقرأ سورتي «ق» و«اقتربت» كاملتين، وتارة سورتي «سبح» و«الغاشية» وهذا هو الهدي الذي استمر ﷺ عليه إلى أن لقي اللَّه ﷻ، لم ينسخ شيء.

ولهذا أخذ به خلفاؤه الراشدون من بعده.

المواضع التي يدعو فيها في الصلاة

وأما المواضع التي كان يدعو فيها في الصلاة، فسبعة مواطن:

أحدها: بعد تكبيرة الإحرام في محل الاستفتاح.

الثاني: قبل الركوع وبعد الفراغ من القراءة في الوتر والقنوت العارض في الصبح قبل الركوع إن صح ذلك، فإن فيه نظراً.

---

(١) في كتاب الصلاة برقم (٤٥٤)، باب القراءة في صلاة الظهر والعصر.

الثالث: بعد الاعتدال من الركوع، كما ثبت ذلك في «صحيح مسلم» من حديث عبد اللَّه بن أبي أوفى: كان رسول اللَّه ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: «سمع اللَّه لمن حمده، اللَّهم ربنا لك الحمد، ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، اللَّهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ»[١].

الرابع: في ركوعه كان يقول: «سبحانك اللَّهم ربنا وبحمدك، اللَّهم اغفر لي»[٢].

الخامس: في سجوده، وكان في غالب دعائه.

السادس: بين السجدتين.

السابع: بعد التشهد وقبل السلام، وبذلك أمر في حديث أبي هريرة [٣]، وحديث فضالة بن عبيد[٤]، وأمر أيضاً بالدعاء في السجود.

وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة أو المأمومين، فلم يكن ذلك من هديه ﷺ أصلاً، ولا روى عنه بإسناد صحيح، ولا حسن.

وأما تخصيص ذلك بصلاتي الفجر والعصر، فلم يفعل ذلك هو ولا أحدٌ من خلفائه، ولا أرشد أمته إليه، وإنما هو استحسان رآه من رآه عوضاً من السنّة بعدهما، واللَّه أعلم.

❀ ❀ ❀

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في صفة الصلاة (٢/ ٢٣٣)، ومسلم في الصلاة برقم (٤٨٤).

(٣) أخرجه مسلم في المساجد برقم (٥٨٨)، وأبو داود في الصلاة برقم (٩٨٣)، وابن ماجه في الإقامة برقم (٩٠٩).

(٤) أخرجه أبو داود في الصلاة برقم (١٤٨١)، والترمذي في الدعوات برقم (٣٤٧٥)، وقال الترمذي: حديث صحيح، وصححه الحاكم (١/ ٢١٨) ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في سنن أبي داود برقم (١٤٨١).

obeikandl.com

أنــواع الدعـــاء

وأمر بالاجتهاد في الدعاء في السجود وقال: «إنه قمن أن يستجاب لكم»[١].

وهل هذا أمر بأن يكثر الدعاء في السجود، أو أمر بأن الداعي إذا دعا في محل، فليكن في السجود؟ وفرق بين الأمرين، وأحسن ما يحمل عليه الحديث أن **الدعـــاء نوعـــان:**

١ دعاء ثناء ودعاء مسألة والنبي ﷺ كان يكثر في سجوده من النوعين، والدعاء الذي أمر به في السجود يتناول النوعين.

٢ والاستجابة أيضاً نوعان: استجابة دعاءِ الطالب بإعطاء سؤاله واستجابة دعاء المثني بالثواب، وبكل واحد من النوعين فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦].

والصحيح أنه يعم النوعين.

٣ وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: الفجر تجري مجرى بداية العمل والوتر خاتمته ولذلك كان النبي ﷺ يصلي سنة الفجر والوتر بسورتي الإخلاص، وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل، وتوحيد المعرفة والإرادة وتوحيد الاعتقاد والقصد، انتهى.

فسورة «قل هو اللَّه أحد» متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة.

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه مسلم في الصلاة برقم (٤٧٩)، وأحمد في المسند (١/ ٢١٩)، وأبو داود في الصلاة برقم (٨٧٦)، والنسائي في الافتتاح (٢/ ٢١٧، ٢١٨).

قمن: حقيق وجدير.

obeikandl.com